المكان المغلق والمفتوح في قصص سعيد سالم

الباحث / حسين محمد حسين محمد

ملخص البحث:

تعددت أنماط المكان في السرد القصصي عند سعيد سالم، وانقسمت إلى مكان مفتوح ومكان مغلق، وعبّرت الأماكن عن الحالة النفسية للبطل والكاتب معا، وعليه فقد جاء المكان مغلقًا ومفتوحًا، سعيدًا وحزينًا، آمنًا وخائفًا، مما يشير إلى تعبير المكان عن كينونة السارد والمسرود في آن واحد.

تعددت أنماط المكان المفتوح عند سعيد سالم، ومن أبرزها عنده: المدينة، والشارع والبحر، وتعددت أنماط المكان المغلق عند سعيد سالم، ومن أبرزها عنده: البيت، والمقهى، والسجن، والفندق.

There were many patterns of place in the storytelling of Saeed Salem, and it was divided into an open place and a closed place, and the places expressed the psychological state of the hero and the writer together, and accordingly the place came closed and open, happy and sad, safe and afraid, which indicates the place's expression of the being of the narrator and the narrator at the same time One.

The patterns of the open space were numerous for Saeed Salem, the most prominent of which are: the city, the street and the sea, and the patterns of the closed place were numerous for Saeed Salem, the most prominent of which for him were: the house, the café, the prison, and the hotel.

يُعد المكان أحد أهم عناصر البناء القصصي الذي تنتظم فيه بقية العناصر، فيكتسب التلاحم والتماسك من علاقة المكان القصصي ببقية العناصر، فتكون له القدرة على تحقيق التواصل والتأثير في المتلقي.

فالمكان أحد الأعمدة الرئيسة للعمل القصصي؛ فالحدث القصصي يدور في المكان أصلا، وبه تتوفر الحدود التي تدور الشخصيات فيها ذهابا وإيابا، ولهذا يمكن اعتباره فضاء السرد عامة وفضاء العمل القصصي على وجه الخصوص.

وقد تعددت أنماط المكان في السرد القصصي العربي، وعبّرت الأماكن عن الحالة النفسية للبطل والكاتب معا، وعليه فقد جاء المكان مغلقًا ومفتوحًا، سعيدًا وحزينًا، آمنًا وخائفًا، مما يشير إلى تعبير المكان عن كينونة السارد والمسرود في آن واحد.

وقد تشكل الفضاء القصصي –عامة وعند سعيد سالم خاصة– عبر المكان بمختلف أنواعه؛ فهناك مكان مفتوح وآخر مغلق (١)، يشير كل منهما إلى خصوصية دلالية، تشير إلى إيجابية الشخصية أحيانا وإلى سلبيتها في أحايين أخرى، فلكل مكان قصصي محددات ومنطق يؤثر في كافة عناصر السرد وتتأثر به؛ فما يجوز حدوثه في المكان المفتوح لا ينطبق بالضرورة على المكان المغلق والعكس، وما يتصور حدوثه في السجن لا يمكن حدوثه على البحر أو في الشارع مثلا، كذلك فإن لكل مكان شخصياته التي تميل إليه وأحداثه التي تليق به؛ حسب التسلسل المنطقي لعناصر السرد كلها بما تشمله من حوار وشخصيات وأحداث وزمان وغيرها.

وعلى ما سبق فقد قسمت المكان القصصي عند سعيد سالم إلى مكان مغلق وآخر مفتوح، وجاء ذلك التقسيم كما يلي:

الأول المكان المفتوح في قصص سعيد سالم

- المدينة
- الشارع
- البحر

الثاني: المكان المغلق في قصص سعيد سالم

- البيت
- المقهى
- السجن
- الفندق

المكان المفتوح في قصص سعيد سالم:

المكان المفتوح هو الذي "يتردد عليه الفرد من دون قيد أو شرط مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعي؛ أي ممارسة سلوك غير سوي يرفضه المجتمع كالسرقة والعدوانية، وهو عنصر أساسي يتحرك من خلاله الشخصيات، فضلًا عن كونه عضيد الزمن الذي يتعامل معه الكاتب "(٢)، وتكون هذه الأماكن شديدة الانتماء إلى مجموعة كبيرة من الناس والعكس في انتماء الناس إليها، فهذا " الانفتاح يعطي خصوصية كبيرة في داخل الشخصية من خلال إضفائه الارتياح على روحها، على الرغم من الحزن الذي يصيبها بفضل الظروف الطارئة، وتدخل ضمن الأماكن الطرق والأسواق والحدائق، والمدن والضواحي، والبساتين، والصحراء وساحات الحروب وغيرها "(٣)، ونعني بها الأماكن المفتوحة؛ لأنها تكون مفتوحة على الخارج، أماكن اتصال وحركة حيث يتجلى فيها بوضوح الانتقال والحركة.

وترتبط الأماكن المفتوحة بالأماكن المغلقة ارتباطًا وثيقًا ولعل حلقة الوصل بينهما هو الإنسان الذي ينطلق من هذه إلى تلك؛ تماشيًا مع فطرته الراغبة دائمًا بالتحرر والانفتاح، وهذا لا يتوافر على الأغلب إلا في الأمكنة المفتوحة.

وقد حاولت الدراسة رصد جماليات الأماكن المفتوحة، ورصد أكثرها ورودًا في القصة القصيرة عند سعيد سالم، فجاءت المدينة متسعة معبرة عن انفتاح المكان، وكذلك جاء الشارع صاخبًا معبرًا عن انفتاح الفضاء القصصي بكل ما تعنيه الكلمة، كما جاء البحر انعكاسًا لنشأة الكاتب في مدينة الإسكندرية وعن انفتاح هذا البحر بوصفه مكانا سرديا مفتوحا متحررا في آن واحد.

وربما تمثل هذه الأماكن – المفتوحة– مجتمعة منظومة غير متجانسة ظاهريًا، لكنها تتفاعل فيما بينها على مستوى النص، لما لها مدلولات عميقة باعتبارها أماكن ترتبط بالشخصية وتتفاعل معها، وتسهم في تشكيل ذاتها وإثبات وجودها، وقد تنوعت الأماكن المفتوحة في قصص سعيد سالم، وتعددت إلى ما يلي:

أ– المدينة

ب– الشارع

جـ – البحر

وسوف أعرج سريعا على كل من تلك الأماكن في قصص سعيد سالم

أولا: المدينة في قصص سعيد سالم

تعد المدينة من أبرز الظواهر المكانية التي يتعامل معها الإنسان المعاصر فهي ليست مجرد مكان متسع يربو على مساحة القرية والبادية تقدمًا ومساحة بل هي أيضًا مكان يمتاز عن غيره بجدلية العلاقة القائمة بينه وبين غيره من الأمكنة من جهة، وبين ساكنيه من جهة أخرى.

فالمدينة " تحمل في جوهرها أبعادًا عميقة تجعلها أقرب الأمكنة إلى مشاعر الإنسان وفكره وطموحه، لأن المدينة هي امتداد طبيعي للأمكنة التي تتسم بالانفتاح والرحابة، وهي المكان الذي تلتقي فيه كل عناصر الحياة المنتشرة الكثيرة، فيما تتعدد وجوه الإنتاج الحضري، كما تتحول بداخلها الخبرة والتجارب الإنسانية إلى إشارات ورموز، وأنماط للسلوك وقواعد النظام "(٤) لذلك تتمايز المدينة عن بقية الأماكن المفتوحة – القرية والبادية خاصة– بشيء من التعقيد الذي يضفي عليها رونقا وغموضا وكآبة وخصوصية جدلية في الوقت ذاته، فهي تجمع شتات الناس المختلفين والمتشابهين في فضاء واحد.

وربما تختلف وجهات النظر تجاه المدينة بوصفها مكانا مفتوحا، فقد يراها البعض مكانا إيجابيا منفتحا، وقد يراها آخرون بمثابة البعد السلبي الذي يشير إلى الاغتراب والعزلة والسلبية وهدم الثوابت في مقابل القرية مثلا، وهذا ما حاول سعيد سالم طرحه في قصة (رحلة الصعود والهبوط)، حيث تبدو المدينة موحشة كما يراها البطل (عم علي) الذي يحاور نفسه متسائلا:"**ما الذي أتى بك إلى هذه المدينة التي تبدو كوحش غريب متعدد الأفواه والأنياب، يشع من عيونه العديدة شررًا حارقًا ؟!** "(٥) فعندما ترك زقاق حارته وذهب في رحلة إلى المدينة الواسعة لم يجد بها الأمان والطمأنينة بل وجدها وحشا متعدد الأفواه والأنياب وله أعين متعددة ينطلق منها الشرار الحارق.

وفي قصة (الدفء والفتور والموت) جاءت المدينة بوصفها مكانا مفتوحا لكن بطريقة مختلفة " **أتمنى لو أسير حافي القدمين حتى أستجلب متعة وحدتي بلا شريك، وصلت إلى حي الأزاريطة، سرحت في تاريخ الإسكندرية القديم شوارع هذه المنطقة تحمل أسماء يونانية ورومانية قديمة تضفي على مشاعري عمقًا إنسانيًا بعيدًا فأنتشي بكوني حفيدًا من أحفاد التاريخ، خيل إليَّ أنني توحدت مع مكونات هذه المدينة الرائعة من بحر وشارع ممتد طويل ونباتات قديمة ومخلوقات نائمة وسكون ساحر وصمت يناجي نسمات الخريف على ضوء القمر** "(٦) وهكذا لم ير الكاتب المدينة كما رآها في

المرة السابقة بوصفها وحشا غريبا؛ بل رأها كمصدر فخر واعتزاز له، لأنه حفيد من أحفاد هذه المكان، ومن فرط حبه الشديد لها تمنى لو كان متوحدا معها في كيان واحد يلازمها وتلازمه.

ومن خلال ما سبق– وفي نهاية حديثي عن المدينة في قصص سعيد سالم– وجد الباحث تباينا وصفيا للمدينة بوصفها مكانا مفتوحا متنوعا عند سعيد سالم؛ فهي الضباب والنور وهي الشمس والغيوم وهي الدفء والبرد وهي الروعة والكآبة في آن واحد، وهذا في حقيقته يعبر عن خيال خصب ورؤية متباينة للمدينة في عين كاتب واحد ملك من إمكانيات السرد الكثير من الأدوات التي خلقت التنوع الدلالي من رحم مكان مفتوح واحد وهو المدينة.

ثانيا: الشارع في قصص سعيد سالم

يتميز الشارع عن غيره من الأماكن المفتوحة بكونه مكانا ممتدا وإن كان ضيقا، وهذا يشير إلى شيء من اللاتناهي الدلالي، فهو مكان واسع الدلالات تدور به أحداث دائرية، وتنبثق منه جماليات عديدة في الواقع المادي أولا وفي الفضاء القصصي ثانيا.

والباحث يختلف مع من يتصورون الشارع مكانا عابرا طارئا في تلك الحياة أو يرون أن وظيفته الرئيسة تقتصر على كونه وسيلة للانتقال من مكان إلى آخر ولو أخذنا بذلك لكان الشارع مكانًا عابرًا لا يستحق التوقف عنده أو إدراجه ضمن هذه الدراسة ولكنه يُعد مكانًا مهمًا لأنه ملتقى الأماكن أي إنه المكان الوسيط؛ الذي يجمع بين الأمكنة الأخرى، فقد يصل شارع معين بين مكان مغلق وآخر مغلق مثل البيت / المقهى، وبين مكان مغلق وآخر مفتوح مثل البيت / المدينة، أو إنه قد يصل بين مكان مفتوح وآخر مفتوح مثل المدينة والبحر مثلا، وهكذا.

ويعد الشارع جزءا لا يتجزأ من المدينة، وأحد العلامات المكانية البارزة فيها، تنفتح عليه الأبواب وتتحرك من خلاله شخصيات وهو أكثر من مجرد جغرافيا مكانية لأنه " الخيط الفاصل بين العالمين : عالم السر وعالم الجهر، ، إذ عند البيوت والمنازل ينتهي عالم الناس السري، ويبدأ عالمهم العلني، حيث يبدأ الشارع وحين تتكشف الأسرار وتعلن الأعماق عن خفاياها، ، إنه شارع نابض بالحياة "(٧)، والشوارع أماكن مفتوحة؛ تستقبل كل فئات المجتمع، وتمنحهم كامل الحرية في التنقل وسعة الاطلاع والتبدل، وهي لا تقوم على التحديدات ولا حدود ثابتة مما يصعب على الكاتب عملية الإمساك بها.

وقد اتسعت دلالات الشارع بوصفه مكانا مفتوحا، منفتحا على دلالات عدة في قصص سعيد سالم، فقد وصفه الأخير وصور أجواءه في قصة(الكذاب) بقوله " **أعمل بلا توقف لإنجاز مهمتي، حتى إنني لا أجد وقتا للتجول في شوارع المدينة إلا فيما ندر، البرودة قاتلة في الشارع لا تشجع على النزول، شاهدت فيلمًا نفسيًا مثيرًا أدار رأسي ولم أصل إلى نتيجة نهائية حتى أمسك من خلالها بخيط يقودني إلى اكتشاف موقع السعادة من النفس الإنسانية** "(٨) يمكننا القول إن الارع صدى لنفسية البطل، وقد انعكست تأثرت كل برودة الجو وذات الكاتب المحطمة ببعضهما، ولم يزل ضائع حزينا يبحث عن السعادة والدفء في فضاء المكان المحزن البارد/ الشارع.

وفي نهاية حديثي عن المكان المفتوح/ الشارع أجمل ما توصلت إليه في تعدد دلالات الشوارع – بوصفها أماكن مفتوحة-- في قصص سعيد سالم؛ فالشارع يشير إلى حرية البطل وانزعاجه من الزحام، وهو في الوقت نفسه مكان انتقالي من مكان إلى مكان.

ثالثا: البحر في قصص سعيد سالم

يحمل البحر دلالة مكانية جغرافية تتمثل في الامتداد والاتساع اللامتناهي على امتداد البصر؛ فهو امتداد مائي يشير إلى مساحة مكانية كبيرة من سطح الكرة الأرضية، فإن وجوده المائي جعله أكثر ابتعادًا عن تدخل البشر وإسهاماتهم بشكل كبير.

كما لا يمكن اعتبار البحر امتدادا لليابسة، فالأخيرة ترتبط بنشاطات الإنسان وتتأثر به ويؤثر فيها بشكل أكبر من الأول، ولم لا وهي –اليابسة– محل إقامته ومقر قراه ومدنه و تنعكس فيها أسباب تقدمه، لذلك كانت علاقة الإنسان بها ولا سيما الإنسان العربي الذي يرتبط وجوده باليابسة –الصحراء مثلا– علاقة ذهنية تشهد على التأثير والتأثر الكبيرين.

ولما كانت القصة العربية القصيرة زاخرة بالأمكنة المغلقة والمفتوحة على حد سواء ــ فإنها –في المقابل– لم تهمل هذا الحيز المكاني المائي الذي كان له نصيب وافر من اهتمام العرب، وإن لم يكن كثيرًا من مساحة القصة العربية، إلا أنه وعلى قلة شواهده يتمتع بجماليات عميقة جسدتها القصة القصيرة.

ويتمتع البحر في قصص سعيد سالم بخصوصية دلالية متنوعة، وهو ابن الإسكندرية الذي علم دلالات البحر عن قرب وعاصر تقلباته وانعكس ذلك على ما كتب من قصص.

ففي قصة " الدفء والفتور والموت" يساعد البحر البطل على التنفس، فهو المكان المفتوح الذي يفرج همه وحزنه في فضائه الواسع " **لم يكن هناك بد من إغفال ترددي الدائم في كل شيء، ارتديت ملابس الخروج وخرجت إلى البحر، لا مكان سواه يعينني على التنفس سرت على الرصيف المواجه للشاطئ ونسمات الخريف تداعب وجهي في شغف شديد** "(٩) يقر الكاتب والبطل معا بجدوى انفتاح المكان، وتتجاوز دلالته مجرد طونه جامدا إلى كونه مفتوحا فاعلا يذهب حزن الكاتب في زي البطل ويذهب همه ويداعبه في شغف واهتمام.

المكان المغلق في قصص سعيد سالم

تؤدي الأماكن المغلقة دورًا محوريًا في القصة القصيرة، لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل ملامح الشخصيات السردية، وتشكل علاقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. إلخ، وتتفاعل هذه الأمكنة مع الزمن ومع المحيط الخارجي لها بإيجابياته وسلبياته وتجلياته.

والأماكن المغلقة هي التي تحدها ثلاثة جوانب على الأقل، بشرط أن يكون لها سقف، ولها خصوصية في نفس كل إنسان، وتتنوع بين عامة وخاصة "وتغدو كالاسفنجة التي تمتص نتائج تفاعلها مع محيطها، فتحولها إلى قدر يغلى بالأحداث، والأفكار، والذكريات، والآمال، والترقب وحتى الخوف والتوجس، لقد تعددت الأمكنة المغلقة في القصة القصيرة فكانت في مقدمتها البيوت لارتباطها الوثيق بالإنسان "(١٠)، فهي مأواه الذي يلجأ إليه ويمكث فيه زمنا طويلا.

وللأماكن المغلقة خصوصيتها في قصص سعيد سالم، فهي مأوى الشخصيات الذي يحتوي غضبها وأفراحها وأتراحها وفيها يدور الصراع إذا لم تتآلف الشخصيات مع تلك الأماكن، ولا يتوقف الصراع إلا عندما يحدث تآلف هذه الشخصيات مع الأماكن.

وفي قصة (عشر قصص قصيرة جدا) تبدو علاقة الود الشديد بين البطل والمكان المغلق: " **السقف: هرولت إليه شاكيًا باكيًا سوء حالي وتشرد عيالي، فقد انهار بيتي الصغير، في البداية هنأني بنجاة أسرتي من الموت ثم وعدني بأن يتوسط لي لدى المسئولين لتدبير مأوى عاجل لأسرتي** "(١١)، فالبيت هو مأوى البطل ومقر تجمعه مع أسرته، ومحضن أنسه بهم.

وعلاقة الود هذه لا تنقطع إلا إذا استجدت حواجز أو حوادث سردية تحوّله إلى مكان غير مرغوب به على الرغم من انغلاقه " فالأماكن المغلقة ماديًا واجتماعيًا يولد

المشاعر المتناقضة المتضاربة في النفس وتخلق لدى الإنسان صراعًا داخليًا بين الرغبات وبين الواقع، وتوحي بالراحة والأمان وفي الوقت نفسه لا يخلق الأمر بمشاعر الضيق والخوف"(١٢)، إلا عندما تستجد حوادث طارئة تنفي الأمان وتستجلب الخوف.

وتتمثل أهمية الأماكن المغلقة في كونها مقرا لانطلاق الشخصيات إلى أماكن أخرى، كالمقهى –مثلا– الذي يسهم في إضفاء سمات محددة على رواده، فهو من الأماكن العامة التي يمكن أن يرتادها عامة الناس، كما يستوعب الصراع الداخلي والخارجي للشخصيات ولا سيما ما يتعلق بالهموم والآمال التي ينفثها المرتادون مع دخان سجائرهم، أو أنفاس أرجيلتهم.

وفي قصة (زمن الإنترنت) جاء اتفاق محمود وسعيد على إجراء لقاء على المقهى مع غنام مقصودا من قبل الكاتب ولم يكن مجرد مصادفة

" – دبر معي لقاء عفويًا يجمع ثلاثتنا على المقهى الذي يقع بين مقري تجارتيكما،

– كيف؟

– ادعه على فنجان قهوة للمناقشة في شئونكما التجارية، وسوف أمر عليكما بمصادفة مصطنعة "(١٣) وهكذا حمل اللقاء المدبر قصد التواصل بين الشخصيات السردية في قصص الكاتب، كما إنه ينبئ عن نفسية الشخصيات ومآربها المتنوعة.

ولقد تنوعت الأماكن المغلقة في قصص سعيد سالم، وجاءت على عدة أنواع؛ أقف على أبرزها بشيء من التحليل؛ كما يلي:

أولا:– البيت في قصص سعيد سالم.

ثانيا:– المقهى في قصص سعيد سالم.

ثالثا:– السجن في قصص سعيد سالم.

رابعا:– الفندق في قصص سعيد سالم.

أولا: البيت في قصص سعيد سالم

البيت من أهم الأماكن المغلقة في حياة الإنسان، إن لم يكن هو الأهم، فهو مكان لا يستغني عنه أي إنسان، وقد وصفه باشلار بقوله : " البيت جسد وروح وهو عالم الإنسان الأول "(١٤) فهو مكان أساسي لأي إنسان، لأنه يشعره بالراحة والطمأنينة والسلامة غالبًا، ولا يقارن البيت بأي مكان آخر كالفندق، أو المطعم، لما يحويه من خصوصية تعبر عن من فيه.

وللبيت دلالته في السرد العربي والقصص القصيرة بوجه عام، وفي قصص سعيد سالم على وجه الخصوص؛ فهو مكان الدفء والحنان، وهو ما يعكس تماسك المجتمع العربي المبني على نواة (البيت)، الذي يعني الأسرة والألفة والعطف والحب والتراحم، كما إنه يشير إلى مساحة مكانية يكتنفها الأمان والهدوء والاستقرار، وهو البنية الأساسية للعمران البشري حيث إنه يعد نواة القرى والمدن، علاوة على ذلك فإن البيت " ليس مجرد مكان نحيا أو نسكن فيه "(١٥) بل إنه يشير إلى كياننا وهويتنا.

وفي قصة (رحلة الصعود والهبوط) جاء وصف(عم علي) للبيت الهادئ الخالي من أولاده السبعة في فرصة لا تتكرر إلا كل حين وحين فيقول " **ألقى بنظرة تأملية على فخدي وهي جالسة على الأرض تصب له شاي العصر، هبت نسمة هواء خفيفة من نافذة شقته الأرضية، جذب نفسًا عميقًا تسربت مع هوائه أتربة الزقاق محملة برائحة السردين والعطن، لكن يبدو أنه يشعر بشيء من هذا، البيت هادئ تماما، صدفة لا يجود بها الزمان إلا مرة أو مرتين كل عدة أشهر، كل الأطفال والصبية بالخارج، البعض عند الخالة والبعض يعبث بكوم القاذورات على ناصية الحارة السد، والبعض يعمل بالوردية وجميعهم سبعة أبناء وبنات، آه أيها الزمن، كم تمر مسرعا دون أن ندري ! "(١٦)** وعلى الرغم من أن البيت هو أكثر مكان يتمتع بأكبر قدر من الخصوصية، إلا أن " عم على " لم يجد ذلك في بيته حيث أصبح البيت أشبه ما يكون بالطريق العام؛ ولا يستطيع أن ينفرد بزوجته ولكنه وجد حلا لذلك، فقد اقتصر خصوصية المكان على غرفة من البيت، وقد اعتبره حلا ناجعا في تحقيق شيء من السعادة الجزئية، حين يقول" **أغلق خصاص النافذة الوحيدة، بقي باب الشقة، آه، المزلاج مكسور منذ سبع سنوات، أصبح مكان المعيشة كطريق عام يدوسه كل من هب ودب، لكن لا بأس هناك حل، دفع الباب، وضع من خلفه زيرا قديما نصف مكسور، لو دفع الباب أحد سيتحرك نصف الزير محدثا صوت الانذار المطلوب "(١٧) يبدو أن البطل قد ابتكر حلا لتحقيق الخصوصية في البيت، الذي يفترض أن تتحقق خصوصيته بشكل طبيعي.**

ثانيا: المقهى في قصص سعيد سالم

المقهى هو المكان المغلق جغرافيا ببنائه المؤلف من جدران وسقف، ونوافذ أو شرفات يجلس بها المرتادون، ويختلف عن البيت وعن غيره من الأمكنة المغلقة بالانفتاح المعنوي؛ كونه مكانا مشتركا بين أعداد كبيرة من الرواد يتشابهون في أمور

ويختلفون في أخرى، بالإضافة إلى كونه أقرب الأمكنة المغلقة إلى الأمكنة المفتوحة لاسيما الشارع والمدينة.

وتأتي أهمية المقهى –بوصفه مكانا مغلقا– في كونه " لا يركن بساكنيه المؤقتين، بل يسوح بهم في ربوع أمكنة أتوا منها، وسوف يرحلون إليها، هي ذي المخيلة الشعبية التي تتجمع أوصالها في ذلك الوعاء فتكسبه تشكيلة جمالية خاصة"(١٨) حيث تجتمع خصائص مكانية متعددة في مكان واحد، ونستطيع القول إن المقهى ملتقى الأمكنة.

وعلى الرغم من كونه مكانا مغلقا إلا أنه من " **الأماكن الشعبية أو التي بدأت شعبية ثم مع الزمن تطور بعضها واكتسب تسميات مختلفة تناسب البنية والعصر فأصبح من العصرنة (المعاصرة) تسميته (بالكافيتريا) إذا كانت تقدم فيه بعض الأطعمة بالإضافة إلى المشروبات المعتادة، وأحيانا يسمى (كوفي شوب)، إلخ وبعضها الأخر احتفظ بأصالته وهو يسمى بالمقاهي الشعبية التي عالجتها القصة القصيرة بكثرة وصورتها جماليًا، فالمقهى أصبح في حياة الكثير من رواده أكثر من مكان ثانوي** "(١٩) فالمقهى هو المكان المغلق الذي يطرح الإنسان فيه أتراحه وأفراحه، وتفصح فيه الشخصيات عن دواخلها، وتعبر فيه عن طموحاتها وآمالها.

وقد صورت القصة العربية –عامة وقصص سعيد سالم خاصة– كثيرا من جماليات المقهى من حيث كونه مكاناً للترويح عن النفس بعد يوم شاق من العمل، وفيه يمكن مواجهة الحياة بكل شقائها ومرارتها لا سيما في حياة أولئك الذين يبحثون عن مساحة بسيطة للترويح عن النفس؛ يتناسون فيها واقعهم وهمومهم، ويجتمعون فيه مع الأصدقاء والمعارف والجيران.

وقد يجتمع الإنسان مع نفسه في المقهى فيتحول الأخير إلى مكان خاص ينفرد فيه ويهرب إليه محملًا بهمومه وآلامه التي ينفثها مع دخان سيجارته أو نفس الأرجيلة التي تكون كركرة المياه فيها صدى لتلاطم هواجسه وأفكاره فيغدو المقهى رمزًا لرغبة الشخصية في النسيان وابتعاد عن الواقع؛ أى إنه ملاذ الهاربين من الواقع ومحاولة للنسيان ولو للحظات بسيطة، كما قد يلجأ الإنسان إلى المقهى بغرض نسيان أماكن أخرى، وعلى رأس تلك الأماكن يأتي البيت.

وقد طرق سعيد سالم عدة قضايا تخص المجتمع من خلال المقهى بوصفه مكانا مغلقا خاصا تكتسب فيه الشخصيات بعضا من حريتها المسلوبة، ومن ذلك ما أورده في

قصة " لحظة توقف" حيث حكى الكاتب في تكثيف شديد عن المرأة ذات الملامح القوية وهي جالسة على المقهى تدخن سيجارة في ثقة " **امرأة ذات ملامح لا تنسى، جالسه إلى مائدة في بهو المقهى الكبير المطل على الشارع مباشرة، تدخن سيجارة بثقة هادئة، وجه أسمر هندي الملامح وشعر أسود طويل لامع** "(٢٠) ما يدعو للاهتمام هو ممارسة المرأة لكامل حريتها وسط هموم الناس، لكنها تكترث؛ ربما لأن المقهى مكان يلقي فيه المرء همومه ويمارس فيه كامل حريته.

وهكذا كان المقهى مكانا مغلقا متعدد الدلالة في قصص سعيد سالم؛ فكان الملجأ والملاذ ورمز خصوصية الشخصيات وكان الرابط الأقوى بين تلك الشخصيات وما عانت من أحداث في الزمان، وعليه يأتي المقهى على رأس قمة هرم الأماكن المغلقة عند الكاتب برأي الباحث، حيث يعد مكانا إيجابيا متميزا، وهو من أهم الأماكن المغلقة في ما كتب من قصص قصيرة.

ثالثا: السجن في قصص سعيد سالم:

يأتي السجن كغيره من الأماكن ليحمل عدة دلالات في الأدب العربي بشكل عام، وفي السرد القصصي بشكل خاص، وقد ربط حسن بحراوي بين السجن وبين كونه مكانا مدنيًا يرتبط وجوده بالمدينة، ويعرفه على " **نقطة انتقال من الخارج إلى الداخل، ومن العام إلى الذات بالنسبة للنزيل، بما يتضمنه ذلك الانتقال من تحول في القيم والعادات، وإثقال لكاهله بالإلزامات والمحظورات(٢١) فالسجن مكان مغلق بالمعنى السلبي للإغلاق على عكس البيت والمقهى مثلا.**

فالبيت مكان مغلق، لكن انغلاقه هذا يعني مزيدًا من الأمان والطمأنينة، والأهم من ذلك كونه يعني مزيدًا من الحرية، أما السجن فيشكل انغلاقه –على عكس البيت– مزيدًا من الخوف والتقييد لأنه على كافة أنواعه يمثل صورة حية لمصادرة الحرية بأوضح معانيها، فهو مكان يعلن دومًا عن عدائه وحربه الضروس ضد الشخصية، من خلال انغلاقه وضيقه وظلمته وبرودته.

ويشير (ميشيل فوكو) إلى دوره قائلًا " **يرتكز دوره المفترض، أو المطلوب كجهاز لتغيير الأفراد**"(٢٢) إلى حالة مغايرة لغير تلك التي دخلوه بها.

والسجن من الأماكن المغلقة التي لم تبرز بشكل جلي في القصة العربية القصيرة مقارنة مع ما أفردته الرواية –مثلا– لهذا المكان حتى إن كثيرًا من الروايات كان فضاؤها ومكانها المحوري هو السجن بكل أبعاده النفسية ودلالاته.

وبالنظر إلى السرد القصصي عند سعيد سالم؛ فإنه يحمل دلالات متعددة للسجن بوصفه مكانا مغلقا، يميل إلى السلبية إذا ما قورن بالبيت والمقهى؛ وذلك بما يحمله من دلالات سياسية واجتماعية وثقافية وفكرية، وهو المكان الذي تستخدمه الأنظمة القمعية ليكون مضادا للحرية ونوعا من التأديب السياسي والفكري.

وجاء السجن معبرا عن تعديل مفاهيم الشخصيات عبر المكان في قصة زمن الإنترنت لسعيد سالم: " **وإنما تنصحه بأسهل وسيلة لوضعي في السجن لو لم أسدد له ما علي !! لعلك يا أخي كنت حريصًا على مصلحة مرسي من نفسه، على الرغم من اعترافك بأنك لا تضمن حتى نفسك**"(٢٣) إنه المكان الضامن للتصرف السليم باختصار، فإذا ما شك البطل في تصرف شخصية ما فإن الضامن هو تعرضها لفترة من السجن كي تستقيم أفعالها.

رابعا: الفندق في قصص سعيد سالم:

الفنادق هي تلك المنشآت التي توفر أماكن السكن والنوم للناس بشكل عام وتفتح أبوابها للزوار بشكل خاص، إلى جانب العديد من الخدمات الأخرى ؛ كالمطاعم، والصالات الرياضية، وقاعات الاجتماعات، وغير ذلك، لذلك بات تواجد الفنادق في الدول أمرًا لا يمكن الاستغناء عنه؛ نظرًا لحجم الخدمات التي تقدمها.

هذا عن أهمية الفنادق بشكل عام، أما عن أهميتها وطبيعتها في السرد القصصي عند سعيد سالم خاصة؛ فقد كانت مأوى الشخصيات وملاذها في بلاد الغرب أثناء بعثته ودراسته، كما كان البطل يعتبرها منزلا له، وكانت الغرفة التي يستقر بها في الفندق بمثابة أمانه هو وأفكاره آخر كل يوم بعد معاناة العمل أو الدراسة، كذلك كانت الفنادق مكانا للاجتماعات والندوات ولقاء أناس من شتى البلاد والبقاع.

وفي قصة (رحلة الصعود والهبوط) جاء الفندق بوصفه مكانا لراحة الشخصيات؛ التي تعتبره مكانا للراحة والتفريج عن النفس في الرحلات البعيدة:

" **لا يستطيع على عصفور أن يجزم بأنه نام بالأمس، ذلك لأن الأفكار الكثيرة التي كانت تطارده بطول الليل وعرضه قد بددت حلاوة الخاطر وأجهضت حماس الحلم، كيف ينام وهي المرة الأولى في حياته – وحياة زوجته بالتبعية – التي يزور فيها العاصمة الشهيرة، ثم يبيت في فندق عظيم به غرف مستقلة، بها دورات مياه خاصة يسمع أنها تبرق من شدة النظافة ؟ لعلها أول ميزة كبرى يستفيد بها من الاشتراكية التي فلقوا بها دماغه في الدورات التدريبية، ولم يفهم منها شيئا** "(٢٤) ألمح سعيد

سالم على لسان (عم علي) لخصوصية المكان المغلق/ الفندق في تلك القصة؛ وذلك لما يحويه من غرف وحمامات شديدة النظافة منعته النوم؛ جراء كثرة التفكير به، على الرغم من إدراكه لانتهاء تلك المتعة بعد بضعة أيام.

الخاتمة:

وفي نهاية حديثي عن المكان المغلق والمفتوح في قصص سعيد سالم، أجمل ما توصلت إليه من نتائج فيما يلي:

تعددت أنماط المكان في السرد القصصي عند سعيد سالم، وانقسمت إلى مكان مفتوح ومكان مغلق، وعبّرت الأماكن عن الحالة النفسية للبطل والكاتب معا، وعليه فقد جاء المكان مغلقًا ومفتوحًا، سعيدًا وحزينًا، آمنًا وخائفًا، مما يشير إلى تعبير المكان عن كينونة السارد والمسرود في آن واحد.

تعددت أنماط المكان المفتوح عند سعيد سالم، ومن أبرزها عنده: المدينة، والشارع والبحر، وتعددت أنماط المكان المغلق عند سعيد سالم، ومن أبرزها عنده: البيت، والمقهى، والسجن، والفندق.

تعددت دلات الشوارع في قصص سعيد سالم بوصفها أماكن مفتوحة تشير إلى حرية البطل أو إلى انزعاجه من الزحام، وهي في الوقت نفسه أماكن انتقالية من مكان إلى مكان.

غلبت الدلالات الإيجابية على إشارات البحر في قصص سعيد سالم؛ بوصفه مكانا مفتوحا يشير إلى حرية البطل وانفتاحه على العالم ثم إلى حنين الكاتب واعتزازه بمكان نشأته في الوقت نفسه

أدت الأماكن المغلقة دورًا محوريًا في القصة القصيرة عد سعيد سالم، لأنها ذات علاقة وثيقة بتشكيل ملامح الشخصيات السردية، وتشكل علاقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. إلخ، بالإضافة إلى تفاعلها مع الزمن بإيجابياته وسلبياته وتجلياته.

غلبت الدلالة الإيجابية على إشارات البيت في قصص سعيد سالم؛ بوصفه مكانا مغلقا يعبر عن استقرار البطل أو حلمه بالاستقرار، وبالإضافة إلى كونه رمزا للأمن والأمان، فإنه إشارة إلى الأصالة ومقاومة البطل لعوامل التغيير والتغريب.

ارتبط تردي المكان المغلق بالصمت والخلو من الشخصيات والحوار في قصص سعيد سالم.

كان المقهى مكانا مغلقا متعدد الدلالة في قصص سعيد سالم؛ فبالإضافة إلى كونه الملجأ والملاذ ورمز خصوصية الشخصيات؛ فقد كان الرابط الأقوى بين تلك الشخصيات وما عانت من أحداث في الزمان، وعليه يأتي المقهى على رأس قمة هرم

الأماكن المغلقة عند الكاتب برأي الباحث، حيث يعد مكانا إيجابيا متميزا، وهو من أهم الأماكن المغلقة في ما كتب من قصص قصيرة.

تعددت دلالات السجن في السرد القصصي عند سعيد سالم؛ بوصفه مكانا مغلقا يميل إلى السلبية إذا ما قورن بالبيت والمقهى من ناحية، ولما يحمله من دلالات سياسية واجتماعية وثقافية وفكرية، فهو المكان الذي تستخدمه الأنظمة القمعية ليكون مضادا للحرية ونوعا من التأديب السياسي والفكري.

تعددت دلالات الفندق في السرد القصصي عند سعيد سالم؛ بوصفه مكانا مغلقا يشير إلى راحة الشخصيات في المكان، فهو مستقر الشخصيات ومحط رحالها بعد رحلة طويلة وتنقل مرهق من مدينة إلى أخرى، كما كان الفندق رمزا للاستقرار وحلما بالمكان المريح المرفه.

المصادر والمراجع:

١) كرم خليل : المكان وجمالياته في القصة العربية القصيرة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٢، ص ١٠٨.

٢) ضحى علي فهد: علي أحمد باكثير وأدبه النثري (الرواية التاريخية أنموذجًا)، دراسة فنية، رسالة ماجستير، الجامعة العراقية، بغداد، ٢٠١١، ص ١٩٠ .

٣) فهد حسين حسن علي: المكان في الرواية البحرينية، دراسة في ثلاث روايات (الجدار – الحصار – أغنية الماء والنار)، رسالة ماجستير، جامعة القديس يوسف، لبنان، ٢٠٠٢، ص٨٠.

٤) محمد أحمد غنيم، المدينة دراسة في الأنثربولوجيا الحضرية: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص١٥٤.

٥) سعيد سالم: قصة (رحلة الصعود والهبوط)، من مجموعة هوى الخمسين، دار نهضة مصر للنشر، ط١، يناير ٢٠١١، ص ١٨.

٦) سعيد سالم: الدفء والفتور والموت، المصدر السابق، ص٧٥.

٧) أحمد زنيبر: جماليات المكان في قصص إدريس الخوري، منشورات دار التوحيدي، الرباط، المغرب، ط١، ٢٠٠٩، ص ٤٦.

٨) سعيد سالم: قصة (الكذاب)، مجموعة هوى الخمسين، مصدر سابق، ص ٢٧.

٩) سعيد سالم: قصة (الدفء والفتور والموت)، مجموعة هوى الخمسين، مصدر سابق، ص٧٥.

١٠) كرم خليل : المكان وجمالياته في القصة العربية القصيرة، مرجع سابق، ص ١٠٨.

١١) سعيد سالم، قصة (عشر قصص قصيرة جدا)، مجموعة قانون الحب، نادي القصة، القاهرة،ط١، ٢٠٠٦، ص ٣٨.

١٢) أحمد حفيظة : بنية الخطاب في الرواية الفلسطينية، مركز أوغاريت الثقافي للنشر والترجمة، القدس، فلسطين، ٢٠٠٧، ص ١٣٤.

١٣) سعيد سالم: قصة (زمن الإنترنت)، مجموعة رحيق الروح، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ٢٠٠٧، ص٤٠.

١٤) غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ط٦، ٢٠٠٦، ص٣٨.

١٥) غادة الامام : غاستون باشلار. جماليات الصورة، التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص٢٩٠.

١٦) سعيد سالم: قصة (رحلة الصعود والهبوط)، مجموعة هوى الخمسين، مصدر سابق، ص ١٣.

١٧) سعيد سالم: قصة (رحلة الصعود والهبوط)، مجموعة هوى الخمسين، مصدر سابق، ص ١٤.

١٨) ياسين النصير: الرواية والمكان، دار نينوى للنشر والتوزيع، بغداد، العراق، ٢٠١٠، ص٤٠.

١٩) سعيد سالم: قصة (لحظة توقف)، مجموعة هوى الخمسين، مصدر سابق، ص٥.

٢٠) بنية الشكل الروائي (الفضاء –الزمن–الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربى، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠، ص٥٥٠.

٢١) كرم خليل : المكان وجمالياته في القصة العربية القصيرة، مرجع سابق، ص ٨٠ .

٢٢) ميشيل فوكو: المراقبة والمعاقبة ولادة السجن، ت: علي مقلد، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص٢٣٦

٢٣) سعيد سالم: قصة (زمن الإنترنت)، مجموعة رحيق الروح، مصدر سابق، ص ٣٧.

٢٤) سعيد سالم: قصة (رحلة الصعود والهبوط)، مجموعة هوى الخمسين، مصدر سابق، ص ١٧.